

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾

أخذ العبرة من شدة الحر في الصيف وصفة جهنم  
وفضل المدينة النبوية لمن تأدب فيها وصبر

خطبة ألقاها

الشيخ ذو سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٣ شوال ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

## [الخطبة الأولى]

الحمد لله، الحمد لله الملك القدوس السلام، البرّ الودود الرؤوف الرحيم الغفور شديد العقاب ذي الجلال والإكرام، أكرمنا بدين الإسلام، وبيّن لنا حدود الحلال والحرام، ووعد من أطاعه بالجنة دار النعيم والسلام، وتوعّد من عصاه بجهنّم دار العذاب والانتقام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المعبود الحق على الدوام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للأنام، ﷺ أزكى صلاة وأتمّ سلام، ورضي الله عن آله الطيّبين الأعلام، وصحابته الخيار الكرام، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فإن أجسادكم ضعيفة على حرّ النار لا تقوى.

عباد الله! عباد الله! يشتدّ الحرّ في هذه الأيام في بلادنا، وفي بعض بلاد المسلمين، وترتفع درجات الحرارة، ويرى الناس عدم تحمّلهم لهذا الحرّ وتأذيهم بشدّة الحرارة، وإن المؤمن العاقل ليتذكّر بذلك ويعتبر، فالله ربنا ﷻ يذكرنا بهذا حرارةً أشدّ وأعظم، ويخوفنا عذابه، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

يقول ربنا ﷻ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، فكلّ حرّ الدنيا - من حرّ الجوّ، والحرّ بكلّ أسبابه، كالنيران بأنواعها - لا يساوي شيئاً في حرّ جهنّم، والعياذ بالله.

يقول نبينا ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنّم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، فقال ﷺ: «فإنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلّها مثل حرّها».

وكلّ ما يراه الناس من شدّة الحرّ في الأرض كلّها، إنّما هو من فيح جهنّم، قال رسول الله ﷺ: «إن شدّة الحرّ من فيح جهنّم»، وبيّن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «قالت النار: ربّ أكل بعضي بعضاً، فأذّن لي أتفّس، فأذّن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فما وجدت من برد أو زمهرير فمن نفس جهنّم، وما وجدت من حرّ أو حرور فمن نفس جهنّم»، وفي رواية قال: «اشتكت النار إلى ربّها، فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً، فأذّن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشدّ ما تجدون من الحرّ وأشدّ ما تجدون من الزمهرير».

تلكم النار - يا عباد الله - حامية في نفسها، وكل ما فيها يزيد حرارتها وعذابها، ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَيْنِيَّةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٤-٧]، فوجوه أهل النار تصلى ناراً حُميت، واشتد حرّها، ومع شدة حرارتها تُسقى تلك الوجوه الذليلة فيها من شراب عينٍ قد أنى حرها، أي بلغ غايته في شدة الحرّ، وليس لهم طعام إلا ما يأكلونه من الصريح، وهي شجرة ذات شوك، أكلها لا ينفع جسمًا، ولا يدفع جوعًا، بل هو سُم في غاية المرارة، تشتدّ به حرارة الجوف.

فطعامهم - والعياذ بالله - طعام ضارّ، يشتدّ به حرّهم، ويعظم به ألمهم، كما قال ربنا سبحانه: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿١٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصفات: ٦٢-٦٦]، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، فطعامهم - يا عباد الله - من شجرة الزَّقُّوم، وهي شجرة غريبة تخرج في أصل الجحيم، غُدِّيت بالنار، ومنها خُلِّقت، كأنّ طلع هذه الشجرة في قبحه وسماحته رؤوس الشياطين، فإذا أكلوا ثمرتها كانت في بطونهم كالرصاص المذاب في النار، فتنهت حرارته، واشتدّت حُميَّته، في شدة سواد، وهذا دليل على شدة الحرارة، فهو طلعٌ حبيث الريح والمرأى، والطعم الشديد الحرارة، يغلي في بطونهم كغلي الماء شديد الحرارة، ومع ذلك يُلقى عليهم الجوع، فيأكلون منه مع كراهة مرآه وسوء ماله، فيتعدّبون، ويشتدّ حرّهم، ولا يُغني عنهم شيئًا.

وإن غيروا عن هذا الطعام فطعامهم من غسلين، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُمْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧]، وهذا الطعام في قبحه كسابقه، فهو شرّ ما يدخل الجوف، وأحبثه وأشنعه، إذ هو صديد أهل النار وما يخرج من جروحهم، فهو في غاية التّن والقبح، ومع ذلك هو شديد الحرارة، لأنّه يخرج من أهل النار، ويغلي في النار، هذا الطعام لا يأكله إلا الخاطئون الذين أخطأوا الصراط المستقيم، وسلكوا سبل الجحيم، فاستحقّوا العذاب الأليم، كما قال النبي ﷺ: «يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صور الرجال، يغشاهم الدّلّ من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم، يُسمّى بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يُسَقون من عُصارة أهل النار، طينة الخبال»، وكما قال ﷺ: «من شرب مُسكرًا بُخِست صلاته أربعين صباحًا،

فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: صديد أهل النار، ومن سقاه صغيراً» - أي من سقى الخمر صغيراً - «لا يعرف حلاله من حرامه كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال».

فطعامهم كله غَصَصٌ وعذاب، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

وشراهم - يا عباد الله - شراب حارٌّ في منتهى الحرارة، يشتدُّ به حرّهم، ويعظم عذابهم، فإنهم - والعياذ بالله - إذا أكلوا طعامهم احترقت أجوافهم، واشتدَّ عطشهم، فيكون شراهم كما قال ربنا ﷻ: ﴿فَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشْرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥٤-٥٥]، فهم يشربون على طعامهم ماءً حارًّا قد انتهى إلى شدة الحرارة، يرونه حارًّا يغلي، ومع ذلك يشربون منه شرب من لا يرتوي، يشربون منه شرب الإبل التي أصيبت بمرض، فلا تروى من الماء، ولا تقنع من الماء، وهذا الشراب الذي يشربونه تذوب به أمعاؤهم، وتُسوى شفاههم ووجوههم، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِنُوا يُعَاقَبُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

ولا يذوقون فيها ماء بارداً أبداً، ولا شراباً طيباً أبداً، بل ذلك حرام عليهم، كما قال الله ﷻ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبا: ٢٤-٢٥].

فكل ما فيه نفعٌ من طعام أو شراب حرام عليهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠].

وثياهم - يا عباد الله - تزيد حرّهم وعذابهم، يشتدُّ حرارته، وبالعذاب يُزادون حرارة، كما قال الله ﷻ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ١٩-٢١].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ في النار لحيات، أمثال أعناق البُخت، تلسع أحدهم اللسعة، فيجد حموتها أربعين خريفاً».

ومع كل هذا - يا عباد الله - فهي عليهم مؤصدة، إذا دخلوها أُغْلِقَتْ أبوابها، فلم تكن فيها أبواب تُفْتَحُ ولا فُرْج، فلا يرون إلا النار، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانَ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤]، فيطوف أولئك المجرمون بين أطباق جهنم وألوان العذاب، وبين ماء قد سُخِّنَ وأُغْلِيَ حتى انتهى حره وأنى طبخه.

تلك النار يا عباد الله - أبعدم الله عنها وأبعدها عنكم - من دخلها ناله العذاب الشديد، فإذا كان أهون أهلها عذاباً من أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «إنَّ أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجلٌ توضع في أخص قدميه جمرة يغلي منها دماغه»، وفي رواية قال: «إنَّ أدنى أهل النار عذاباً ينتعل نعلين من نار، يغلي دماغه من حرارة نعليه»، وقال النبي ﷺ عن هذا الرجل: «ما يرى أن أحداً أشدَّ منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً».

وذكر عند النبي ﷺ عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه أم دماغه».

هذا - يا عباد الله - أهون أهل النار، فما بالكم بمن هو فوقه في العذاب؟! بل - يا عباد الله - إن الغمسة في نار جهنم تمحو نعيم الدنيا، فكيف بدخولها والعياذ بالله؟! قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب».

هذه - يا عباد الله - غمسة واحدة في النار، فكيف بمن يدخل النار؟! فيأياك - يا عبد الله - أن تستهين بدخول النار ولو لحظة واحدة.

عباد الله، إن الإنسان بطبعه يفعل الأسباب التي تقيه شدة الحر، وهذا هو حالنا في هذه الأيام، نبرد الماء، ونجلس تحت المكيفات، ونبعد عن الشمس، فحقيق بالمؤمن العاقل الذي آمن بالله واليوم الآخر أن يتخذ الأسباب التي تُبعده عن حر جهنم، بلزوم الواجبات، والإكثار من المستحبات، وترك المحرمات، والحرص على البعد عن المكروهات، وكثرة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وإتباع السيئات بالحسنات، ومعاملة الخلق بأحسن الأخلاق، كما قال النبي ﷺ: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

جَنَّبَنِي اللَّهُ وإياكم مُورِدَاتِ الجَحِيمِ، وجعلني وإياكم من أهل النعيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### [الخطبة الثانية: فضل المدينة النبوية لمن تأدب فيها وصبر على ما فيها من شدة]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فيا أهل المدينة، يا من أكرمكم الله ﷺ فكنتم من سكان المدينة، إن من خيرات المدينة وبركاتهما أن من وُفِّقَ فيها إلى حسن الأدب والصبر على ما فيها من شدة نال الخير العظيم، والأجر الكريم، فالمدينة -يا عباد الله- لمن تأدب فيها وصبر خيرٌ من الأجواء الطيبة، والماء العذب النмир، والخير والرزق الوفير، يقول النبي ﷺ: «تُفْتَحُ اليمن، فيأتي قوم يُسُون، فيتحمّلون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفْتَحُ الشام، فيأتي قوم يُسُون، فيتحمّلون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفْتَحُ العراق، فيأتي قوم يُسُون، فيتحمّلون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»، يخبر النبي ﷺ أنه تُفْتَحُ اليمن، وتُفْتَحُ الشام، وتُفْتَحُ العراق، فيرى الناس فيها هواءً طيباً، وماءً طيباً، وخيراً كثيراً، فيأتي بعضهم إلى أهلهم وأقوامهم، يدعوتهم، ويحثّونهم، ويسرعون بهم للخروج من المدينة إلى تلك الأرياف الطيبة، والنبي ﷺ قال هذا القول العظيم: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابنَ عمِّه وقريبه: هلمّ إلى الرخاء، هلمّ إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكبير تُخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكبر خبث الحديد».

وقال رسول الله ﷺ أمراً ومبشراً عن هذه المدينة: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شهيداً أو شفيحاً يوم القيامة».

وقد علم السلف الصالح رضوان الله عليهم ذلك وامتثلوا هذا، جاءت مولاة لابن عمر رضي الله عنهما تسلم عليه، وتقول: إني خارجة، فإن الأمر قد اشتد علينا، فقال لها: اقعدي يا كُعب، إن النبي ﷺ قال: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شهيداً أو شفيحاً يوم القيامة».

فيا من كتب الله لك أن تكون في هذه الأيام الحارة في مدينة رسول الله ﷺ، عليك بالصبر، وإياك والتسخط، وإياك والجزع، بل كن صبوراً يا عبد الله، ألا يُصبرك أن تعلم أنك إن صبرت على هذه الشدة كنت موعوداً بأن يكون رسول الله ﷺ شهيداً لك أو شفيعاً لك يوم القيامة؟

ألا فاصبروا يا أهل المدينة، ألا فاصبروا يا أهل المدينة، فإنه مهما أصابكم من شدة، ومهما أصابكم من لأواء، فإن صبركم عليها يؤول بكم إلى ما هو خير لكم من نعيم الدنيا كلها.

ثم اعلّموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم تثنى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «من صَلَّى عليّ صلاةً واحدةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشرًا».

فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمَنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين.

إنا نعوذ بك -يا ربنا- من جهنّم، إنا نعوذ بك -يا ربنا- من جهنّم، إنا نعوذ بك -يا ربنا- من جهنّم.

إنا نسألك -يا ربنا- الجنّة، إنا نسألك -يا ربنا- الجنّة، إنا نسألك -يا ربنا- الجنّة، اللهم أدخلنا الجنّة بفضلك يا رب العالمين، وارفع درجاتنا حتى نكون مع نبينا ﷺ يا رب العالمين.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرةً من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ إنا عباد مذنبون، اللهمّ إنا عباد مذنبون، أذنبنا وأكثرنا وعظم جهلنا، وإنا يا ربّنا بذنوبنا مقروّن، ولرحمتك راجون، ولك مستغفرون، اللهمّ إنا نستغفرك إنّك كنت غفّاراً، فاغفر لنا جميعاً يا رب العالمين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولجيراننا ولمن نحبّ أجمعين يا رب العالمين، اللهمّ واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترفع البلاء عن المبتليّن من إخواننا في كل مكان يا رب العالمين، اللهمّ إنّ إخوة لنا يُلاقون العذاب والتهجير، اللهمّ فأمنهم يا رب العالمين، وانصرهم على أعدائهم يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، ارفع البلاء عن ديار المسلمين يا رب العالمين، اللهمّ ارفع البلاء عن ديار المسلمين، اللهمّ ارفع البلاء عن ديار المسلمين.

إلهنا، إنّ القلوب بين أصبعين من أصابعك اللهمّ فاهدِ قلوب حكّام المسلمين، اللهمّ اهدِ قلوب حكّام المسلمين، اللهمّ اهدِ قلوب حكّام المسلمين، اللهمّ اجعلهم مقيمين للدين يا رب العالمين، واجعلهم رحمةً على الرعية يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفّق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين ووليّ عهده لما تحب وترضى، اللهمّ يا ربّنا، قرّبهما من الخير وقرّب الأخيار منهما يا رب العالمين، اللهمّ وباعدهما عن الشرّ وأبعد الأشرار عنهما يا رب العالمين، اللهمّ اجعلهما رحمةً على كل من سكن المملكة، اللهمّ اجعلهما رحمةً على كل من سكن المملكة، اللهمّ اجعل خيرهما للمسلمين عامّةً يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلّم.